



قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني



الزبير بن العوام



المحتويات

- 3.....مقدمة
- 5.....صفية أم الزبير
- 8.....إسلام الزبير
- 9.....الزبير قبل الهجرة
- 11.....الزبير في غزوات رسول الله
- 15.....الزبير في فتح مصر
- 16.....شجاعة الزبير وبطولاته
- 18.....مناقب الزبير
- 20.....غيرة الزبير
- 21.....وصايا الصحابة إلى الزبير
- 23.....ديون الزبير
- 25.....استشهاد الزبير
- 27.....أبناء الزبير وقاتل أبيهم
- 28.....كلمة أخيرة (هل انتشر الإسلام بالسيف؟)

الزبير بن العوام من الشخصيات الهائلة، فكل موقف في حياته يكفي أن يمتلئ به صاحبه فخراً، فالزبير هو رجل المهام الصعبة طوال تاريخه، وربما كان هذا أقرب وصف يمكن أن يلخص سيرة سيدنا الزبير، حتى قال عنه عمر رضى الله عنه:

الزبير عمود من عمود الإسلام

هو الزبير بن العوام بن خُوَيْلِد ... أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وأبوه العوام بن خويلد شقيق السيدة خديجة بنت خويلد، ومن ثم فالسيدة خديجة هي عمة سيدنا الزبير، وبعدما قُتِلَ أبوه العوام بن خويلد يَوْمَ الْفُجَارِ - وهو يوم من أيام الجاهلية قبل الإسلام بسنوات معدودة - خَلَفَ ورائه الزبير وهو ابن سنتين، فقررت السيدة خديجة أن تكفله وترعاه، فنشأ الزبير بين بيت عمته خديجة بنت خويلد، وبين بيت أمه صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول.

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة الذين ورد ذكرهم في حديث رسول الله ﷺ حيث قال: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ " رواه الترمذي وصححه الألباني.

صفية أم الزبير

صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي هي عمّة رسول الله ﷺ، وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي ابنة عم أمّنة بنت وهب أم النبي ﷺ.

وكان للسيدة صفية في قلب النبي ﷺ مكانة خاصة، ويظهر ذلك جلياً حين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، قام رسول الله ﷺ فنادى: يا مَعْشَرَ قُرَيْشِ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ مَنْأَفِ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ! سَلِّينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً. صححه الألباني، فخصّ النبي ﷺ بالذكر عمته صفية، وابنته الصغرى فاطمة التي هي أحب الناس إليه دون بقية أهله.

والسيدة صفية هي شقيقة حمزة بن عبد المطلب لأب وأم، فسيدنا حمزة هو خال سيدنا الزبير، وقد تشرب منه سيدنا الزبير كثيراً من صفاته وشدته، وكما يقولون فإن "الخال والد".

وكانت صفية أوّل امرأة قتلت رجلاً من اليهود يوم الخندق، فقد جعل رسول الله النساء في الحصون يوم الخندق، فكانت صفية بنت عبد

المطلب في حصن حسان بن ثابت. تقول صفية: وكان حسان معنا، فمر بنا رجل يهودي من بني قريظة بعد أن قطعت بنو قريظة عهدها مع رسول الله وليس بيننا وبينهم أحد، ورسول الله والمسلمون مشغولون بالخذق في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا. فقلت: يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل من وراءه من اليهود على عوراتنا وقد شغل الرسول وأصحابه فأنزل إليه فاقتله، فقال حسان: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، لقد عرفت ما أنا بصاحب ذلك ولو كنت أقدر لكنت مع رسول الله.

وقد اشتهر من هذه الرواية أن حسان كان جبانا، وليس الأمر كذلك، فقد كان كبير السن لا يقدر على القتال، وبه من العلل ما يمنعه. وربما كان الدليل الأكبر على ذلك أن حسان كان شاعرا يعارض الشعراء ولو كان مشهورا بالجبن ما سكت أعداؤه عنه ولهجوه بذلك وهو ما لم يحدث.

قالت صفية فلما قال لي ذلك، شددت إزاري على وسطي، ثم أخذت عمودا، فنزلت من الحصن فضربت اليهودي حتى قتلتها فلما فرغت منه قطعت رأسه وألقيتها إلى اليهود أسفل الحصن ففزعوا لأنهم ظنوا أن بالحصن رجالا. فهذه هي صفية أم الزبير وهذه هي الروح التي زرعتها في ابنها.

نشأ الزبير يتيما، ورغم يتمه كانت أمه صفية تضربه ضربا شديدا، فقيل لها: قتلته، خلعت فؤاده، أهلك هذا الغلام.. إنك تضربينه ضرب مُبغضة (كأنك تكرهينه).. فكانت صفية تقول:

مَنْ قَالَ إِنِّي أَبْغَضُهُ فَقَدْ كَذَبَ.. إِنَّمَا أَضْرِبُهُ كَيْ يَلْبَ.... وَيَهْزِمَ الْجَيْشَ
وَيَأْتِيَ بِالسَّلْبِ

تَعْنِي أَنَّهَا تَضْرِبُهُ كَيْ يَعْجَلَ وَيَرْتُدَّ وَيَقُودَ الْجُيُوشَ وَيَأْتِيَ بِالْغَنَائِمِ.
وسيتحقق أمل صفية في ابنها سواء على مستوى الحرب والقتال، أو على مستوى الجود والعتاء كما سنرى.

تشاجر الزبير يوما وهو صغير مع رجل أكبر منه سنا بمكة فكسر الزبير يد الرجل، فمر الرجل بصفية وهو محمول على نقالة، فقالت ما شأنه؟ قالوا: تشاجر مع الزبير. فقالت للرجل مزهوة بابنها: كيف رأيت الزبير؟ قطا أم نمرا أم رأيتته صقرا؟.



إسلام الزبير

أسلم الزبير صغيرا وعمره 12 سنة أو 16 سنة، وكان رابع أو خامس من أسلم، وهو التوقيت الذي أسلم فيه علي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص. تجدد الإشارة إلى أنهم ولدوا جميعا في عام واحد.

وَكَانَ عَمُّهُ نَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ الْمَعْرُوفُ بِأَسَدِ قَرِيشٍ يُعَلِّقُهُ فِي حَصِيرٍ وَيُدْخِنُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ وَهُوَ يَقُولُ: ارْجِعْ إِلَى الْكُفْرِ. فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لَا أَكْفُرُ أَبَدًا. وهو لم يتجاوز بعد الثانية عشر من عمره أو السادسة عشر.

وبالتالي فقد نشأ الزبير صبيا صلبا كما أرادته أمه، حتى أنه سمع يوما كأن أحدا يقول أن مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخِذَ (قُتِلَ)، والزبير وقتها ابنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، فَسَلَّ سَيْفَهُ، وَحَرَجَ يَشْتَدُّ فِي الْأَرْقَةِ (يجرى مسرعا) حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ، فَكَلَّ مَنْ رَأَاهُ مِنْ لَا يَعْرِفُهُ يَتَعَجَّبُ وَيَقُولُ: غَلَامٌ وَمَعَهُ سَيْفٌ...؟؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَّكَ قَدْ أُخِذْتَ (قُتِلْتَ)! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كُنْتَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ بِسَيْفِي هَذَا مَنْ قَتَلَكَ، أَوْ قَالَ: كُنْتُ وَاللَّهِ أَسْتَعْرِضُ أَهْلَ مَكَّةَ - أَيِ أَقَاتِلُهُمْ كُلَّهُمْ - فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِسَيْفِهِ. فَكَانَ سَيْفُ الزُّبَيْرِ هُوَ أَوَّلَ سَيْفٍ سُلِّ فِي الْإِسْلَامِ. رواه البيهقي وسنده صحيح

الزبير قبل الهجرة

كان الزبير أصغر من هاجر للحبشة في الهجرة الأولى، فقليل كان عمره لا يتجاوز السابعة عشرة وكان من مواقفه في الحبشة أنه لما خرج رجل ينازع النجاشي ملكه حزن المسلمون لذلك، وخشوا أن يأتي ملك جديد لا يعرف لهم حقهم كما كان يفعل النجاشي.

يقول الراوى: فصرنا ندعو الله ونستنصره للنجاشي، فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض: من يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر من سينتصر؟ فقال الزبير - وكان من أحدثهم سنا - أنا، فصنعوا له قربة (عومة) يسبح عليها في النيل حتى خرج إلى الضفة الأخرى التي بها المعركة فحضر الوقعة، ونصر الله النجاشي يومها، وجاء الزبير فجعل يلوح لهم بردائه ويقول: ألا فأبشروا، فقد أظهر الله النجاشي.

ومرة أخرى يبهر الزبير الجميع بشجاعته وجراته منقطعة النظير لا سيما في هذه السن الصغيرة لينتبت دائما ومنذ صغره أنه رجل المهام الصعبة.

ثم رجع الزبير من الحبشة إلى مكة، وفي مكة تزوج أسماء بنت أبي بكر، ثم ذهب (ومعه طلحة بن عبيد الله) في تجارة إلى الشام، وفي طريق عودته إلى مكة لقي النبي وأبي بكر وهما في طريقهما إلى يثرب

أثناء هجرتهما، فكساهما ثيابا بيض، وأكمل هو طريقه إلى مكة ليرد أمانات التجارة التي معه لأهلها، ثم خرج مهاجرا إلى المدينة.

وفى المدينة ولدت زوجته أسماء ابنا عبد الله بن الزبير، فكان أول مولود للمهاجرين بالمدينة بعد الهجرة وقد استبشر المسلمون بمولده، حيث مضت عليهم فترة لا يولد لهم مولود ذكر، حتى قيل إن يهود المدينة سحرتهم.

وحملت أسماء ابنا عبد الله بن الزبير إلى النبي ﷺ، فحتمه بتمرة (أي مص النبي ﷺ ثمرة ثم وضع بعض ريقه ﷺ) في فم الغلام فكان أول شيء دخل جوف عبد الله بن الزبير هو ريق النبي ﷺ) وسماه عبد الله باسم جده لأمه أبي بكر، وأمر أبا بكر أن يؤذن في أذنيه.



الزبير في غزوات رسول الله

شهد الزبير مع رسول الله كل المشاهد بدءا من غزوة بدر، وكان عمره وقتها 27 عاما، وجعله صلى الله عليه وسلم على قيادة الميمنة، وجعل على الميسرة المقداد بن عمرو، وكان الزبير والمقداد هما الفارسان الوحيدان في الجيش (سيكونان معا قادة الفرسان أيضا في فتح مصر كما سنرى)، وكان الزبير يلبس يومها عمامة صفراء فكان النبي، يقول: نزلت الملائكة يوم بدر على سيماء أبي عبد الله الزبير معممين بعمائم صفراء. رواه الحاكم وسنده صحيح.

الزبير يوم أحد:

كان الزبير من المسلمين القلائل الذين صمدوا مع الرسول حين انكشف أغلب المسلمين وفروا يوم أحد، وقاتل قتالا شديدا بين يدي رسول الله، وكان الرسول الله يندبه للمهام الصعبة، فقد رأى أحد المشركين يقتل المسلمين قتلا عنيفا على الجبل، فقال: قم إليه يا زبير فارتقي الزبير الجبل واشتباك مع الرجل، فاعتنقه فأقبلا ينحدران من أعلى الجبل حتى وقعا على الأرض، ووقع الزبير فوق الرجل فقتله. فلتقاه النبي فقبله وقال:

”فذاك عم وخال”

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لو لم يبرز إليه، لبرزت أنا إليه لما رأيت من إحجام الناس عنه. ولكن الزبير كان رجل المهام الصعبة.

الزبير في غزوة حمراء الأسد:

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول لعروة بن الزبير - وهو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر - وهي تحدثه عن الذين خرجوا في هذه الغزوة: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبَوَاكَ (تقصد أباه الزبير، وجده أبا بكرٍ رضي الله عنهما) من الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ . وذلك أنه لما انصرف المشركون من أحدٍ وأصاب النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه ما أصابهم خاف أن يرجعوا فقال: "مَنْ يُنْتَدِبْ لَهُؤْلَاءِ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ بِنَا قُوَّةً؟" فخرج أبو بكرٍ والزبيرُ في سبعين من الصحابة في آثار المشركين فسمعوا بهم فأنصرفوا فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ مِنْهُمْ شَيْءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ رواه البخاري

الزبير في غزوة الخندق

لما سرت الشائعات بأن يهود بني قريظة (وكانوا يقيمون بأحد أطراف المدينة، وكان بينهم وبين رسول الله معاهدة على ألا يناصروا عدوا عليه) قد نقضت عهدها مع رسول الله وتحالفت مع الأحزاب التي كانت

تحاصر المدينة، فقال رسول الله ﷺ : من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير : أنا، وذلك في ظرف عصب وشفه الله تعالى في سورة الأحزاب فقال : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ في مثل هذا الظرف يخرج الزبير وحده إليه ليستطلع الأمر، وكافاه الرسول على ذلك كما سنرى في نهاية هذه القصة: فعن عبد الله بن الزبير قال : كُنْتُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النَّسَاءِ (كانا سنهما وقتها ثماني سنوات)، فَنظَرْتُ فَإِذَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ، يَذْهَبُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقُلْتُ : يَا أَبَتِ، رَأَيْتَكَ تَذْهَبُ إِلَيْهِمْ، قَالَ : وَهَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ : نَعَمْ، فَقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ : " مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِيَنِي بِخَبْرِهِمْ "، فَأَنْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُوهُ فَقَالَ : " فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي " . متفق عليه.

وضرب الزبير يوم الخندق أحد المشركين بالسيف على مغفره (الحديد الذي يضعه المحارب على جسمه)، فقطع الزبير الحديد، فقالوا ما أجود سيفك! فغضب الزبير، وقال ما معناه أن العمل ليده لا للسيف.

الزبير يوم خيبر:

وشهد الزبير مع رسول الله فتح حصون خيبر، وكان اليهود يتحصنون بها ولا يخرج إلا الشجعان منهم للمبارزة، فخرج ثلاثة في أحد الأيام،

فقتل محمد بن مسلمة الأنصاري أولهم. ثم خرج ياسر، وكان من مشاهير شجعان اليهود وأشدهم، فبرز له علي بن أبي طالب أولاً، فقال له الزبير: أقسمت عليك إلا خليت بيني وبينه، ففعل علي، وأقبل الزبير عليه، فجاءت صفية أمه إلى رسول الله خائفة تقول: يا رسول الله، ابني يقتل؟! فقال: بل ابنك يقتله إن شاء الله، فاقتتلا، فقتله الزبير فقال له " فذاك عم وخال، لكل نبي حوارى وحوارى الزبير ابن عمتي".

الزبير يوم حنين:

روى ابن عساکر في تاريخ دمشق أن الزبير كان ممن ثبت مع رسول الله يوم حنين حتى رجع المسلمون إلى رسول الله وانهزمت قبائل هوازن، وبقي مالك بن عوف قائد هوازن في فلول جيشه على تبة مرتفعة ومعه بقية فرسان قومه، ينتظرون بقية فلول جيشهم.. فمرت بهم مجموعات متعددة من جيش المسلمين بعد انتهاء المعركة فكان مالك بن عوف يقول لجنده: اثبتوا فلا بأس عليكم منهم، وبالفعل كانوا يمرون عليهم ويتركوهم دون اشتباك. ثم طلع فارس واحد فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى فارس طويل النجاد هول الفخذ، فنظر مالك فقال: هذا الزبير بن العوام.. وأحلف بالله ليخالطنكم. وبالفعل ما إن رآهم الزبير حتى عمد إليهم وحده فلم يزل يطاعنهم حتى أزالهم عن التبة وصرفهم.

الزبير في فتح مصر

لما تأخر إتمام فتح مصر كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يستمده، فكتب إليه عمر يقول:

أما بعد، فقد عَجِبْتُ لِإِطَائِكُمْ عَنْ فَتْحِ مِصْرَ، أَنْكُمْ تُقَاتِلُونَ مِنْذُ سِنَتَيْنِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا أَحَدَيْتُمْ وَأَحْبَبْتُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَحَبَّ عَدُوَّكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَنْصُرُ قَوْمًا إِلَّا بِصَدَقِ نِيَّاتِهِمْ. وَقَدْ كُنْتُ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ :

الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد،

وَأَعْلَمْتُكَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ مَقَامُ أَلْفِ رَجُلٍ عَلَى مَا كُنْتُ أَعْرِفُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ غَيْرَهُمْ مَا غَيْرَهُمْ،

فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاخْطُبِ النَّاسَ، وَخُضِّهِمْ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّهِمْ، وَرَغِّبِهِمْ فِي الصَّبْرِ وَالنِّيَّةِ، وَقَدِّمِ أَوْلِيَّكَ الْأَرْبَعَةَ فِي صُدُورِ النَّاسِ، وَلِيَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَ الزَّوَالِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ فِيهَا، وَوَقْتُ الْإِجَابَةِ، وَلِيُعِجَّ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ، وَلِيَسْأَلُوهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِمْ.

ويلاحظ أن الأول والثاني من الأربعة كانا الفارسيين الوحيديين يوم بدر وهما الزبير والمقداد، فلا يزال عطاء وبركة أهل بدر مستمرة بعد عشرات السنين.

شجاعة الزبير وبطولاته

❖ بعد موت النبي كان الزبير من جملة الحرس الذين يحرسون المدينة، لأن كثيرا من قبائل العرب قد ارتدت، وطمع كثير من الأعراب في المدينة، فجعل أبو بكر الصديق على طرقات ومداخل المدينة حرسًا يبيتون حولها منهم علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص (لاحظ هؤلاء الأربعة الذين ولدوا كما ذكرنا في عام واحد وأسلموا في سن الثانية عشر، كيف صاروا عمُد الإسلام في كل موقف).

❖ وكان الزبير بن العوام فيمن شهد معركة اليرموك، وهو أقرب من كان باليرموك للرسول نسبا (فهو ابن عمه الرسول مباشرة)، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا تهجم فنهجم معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى، فهجم وهجموا معه فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وثبت الزبير منفردا، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه ثم جاؤوا إليه مرة ثانية، ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ بين كتفيه جرحا عميقا لدرجة أن ابنه عروة بن الزبير كان يضع أصابعه في هذا الجرح!!.

❖ وروى أَنَّ الزُّبَيْرَ لما خَرَجَ غَازِيًا نَحَوَ مِصْرَ كَتَبَ إِلَيْهِ أَمِيرُ مِصْرَ: إِنَّ الْأَرْضَ قَدْ وَقَعَ بِهَا الطَّاعُونَ فَلَا تَدْخُلْهَا. فَقَالَ الزُّبَيْرُ: إِنَّمَا خَرَجْتُ لِلطَّعْنِ وَالطَّاعُونَ، فَدَخَلَهَا. (وهذا جائز في وقت الحروب).

❖ وكان الزبير أحد الذين تسلقوا بالحبال حصن بابلين بمصر حتى فتحوها، وهو يومها في الخمسين من عمره !!.

❖ وكان الزبير مع بعض أصحابه في بعض أسفاره فأصابته جنابة بأرضٍ قفرٍ فقال لرجل منهم: استرني. فسترته فحانت مني التفاتة فرأه مجدعا (مقطعا) بالسيف. قلت: والله لقد رأيت بك أثارا ما رأيتها بأحد قط؟ قال: وقد رأيت ذلك؟ قلت: نعم. قال:

أما والله ما منها جراحة إلا مع رسول الله وفي سبيل الله.

وكان في صدره أمثال العيون من الطعن والرمي.

❖ وكان سفيان الثوري يقول:

هؤلاء الثلاثة نجدة الصحابة:

❖ حمزة وعلي والزبير. (سيدنا حمزة هو عم علي وخال الزبير).



مناقب الزبير

❖ كان الجهاد روح الزبير، والشهادة أمله في الحياة، وكان للزبير أحد عشر ولدا فكان يقول: إن طلحة بن عبيد الله يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبي بعد محمد، وإني أسمى أبنائي بأسماء الشهداء لعلمهم يُستشهدون. ففيما عدا ابنه الأكبر عبد الله الذي سماه رسول الله بنفسه، فقد سمي الزبير بقية أبنائه بأسماء شهداء فسمي المنذر بالمنذر بن عمرو الذي استشهد يوم بئر معونة، وسمى عروة بعروة بن مسعود الذي استشهد بالطائف، وسمي حمزة بحمزة بن عبد المطلب الذي استشهد في غزوة أحد، وسمي جعفر بجعفر بن أبي طالب الذي استشهد في غزوة مؤتة، وسمي مصعبا بمصعب بن عمير الذي استشهد في غزوة أحد، وسمي عبيدة بعبيدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدر، وسمي خالدًا بخالد بن سعيد الذي استشهد بمعركة مرج الصفر في فتوح الشام، وسمي عمرا بعمر بن سعيد بن العاص الذي استشهد بأجنادين في فتوح الشام، وسمي عاصم بعاصم بن ثابت الذي استشهد في حادثة يوم الرجيع، وسمي المهاجر بالمهاجر بن زياد الذي استشهد في فتح تستر في فتوح العراق.

❖ وكان الزبير مع الرسول على جبلٍ حِراءٍ فَتَحَرَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْكُنْ حِراءَ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ،

أَوْ شَهِيدٌ وَعَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ،
وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. صحيح مسلم.

❖ وكان سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب يحدث أن النبي نام يوماً فجلس الزبير يذُبُّ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَمْ تَزَلْ ؟ قَالَ : لَمْ أَزَلْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي قَالَ : هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرُئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ :

أَنَا مَعَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى أُذِبَّ عَنْ وَجْهِكَ شَرَّ جَهَنَّمَ.

رواه الديلمي وسنده صحيح

❖ وكان الزبير على كثرة فضله يقول:

أَيْكُمَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ



حصن بابلون الذي تسلقه الزبير

غيرة الزبير

كان الزبير شديد الغيرة، حتى أن زوجته السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: جِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي فَلَقِيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ نَقْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَدَعَانِي لِيَحْمِلَ مَا مَعِيَ خَلْفَهُ، لَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أُسِيرَ مَعَ الرَّجَالِ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ، وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي قَدْ اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى. رواه البخاري ومسلم

ولم يكن يعيب الزبير إلا هذه الغيرة الشديدة على نساءه تصل أحيانا إلى حد العنف والضرب، فحتى أسماء بنت أبي بكر لم تسلم من ذلك رغم أنها أولى زوجاته، وأخت عائشة، وبنت الصديق، ومع ذلك كان الزبير شديداً عليها، فضربها يوماً فصاحت مستجدة بابنها عبد الله بن الزبير - الذي ورث عن أبيه الشدة والحزم منذ الصغر - فجاء عبد الله مسرعاً فقال الزبير: أمك طالق إن دخلت تدفع عنها. فقال عبد الله:

مِثْلِي لَا تُضْرَبُ أُمُّهُ!!

ودخل فخلصها من يده، فطلقها الزبير، وعاشت في كنف ابنها عبد الله بقية حياتها.



وصايا الصحابة إلى الزبير

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لو تركت تركة أو عهدت عهدا إلى أحد لعهدت إلى الزبير بن العوام،

إنه ركن من أركان الدين.

ولذلك كان كبار الصحابة يجعلون وصيتهم إلى الزبير منهم عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود والمقداد بن الأسود، وعدوا سبعة من الصحابة فكان الزبير يُنفق على الورثة من ماله ويحفظ أموالهم.

وممن جعل وصيته للزبير أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله (كان الزبير ابن خال أبي العاص)، وأوصى إليه ببنته أمانة فكان الزبير وصيا عليها، فزوجها الزبير لعلى بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها.

الزبير وابن مسعود:

كان الرسول قبل أن يؤاخي بين المهاجرين والأنصار قد آخى بين المهاجرين بعضهم بعضا، فأخى بين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود - وكان قد آخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين طلحة قبل الهجرة)، فلما حضرت الوفاة عبد الله بن مسعود قال:

هذا ما أوصى به عبد الله بن مسعود، إن حدث به حدث في مرضه أن مرجع وصيته إلى الزبير بن العوام، وإلى ابنه عبد الله بن الزبير، وإنهما في حل لما وليا من ذلك وقضيا، لا حرج عليهما في شيء منه، وإنه لا تزوج امرأة من بناتي إلا بعلمهما

فلما مات عبد الله بن مسعود دخل الزبير على عثمان أمير المؤمنين فقال: أعطني عطاء عبد الله فأهله أحق به من بيت المال.

وكان عبد الله بن مسعود قد ترك عطاءه (ما يشبه الراتب السنوي) استغناء عنه كما فعل غيره من كبار الصحابة، فجاء الزبير فأخذ ما كان قد ترك، فأنفقه على أولاد عبد الله بن مسعود.

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ:

نَحْنُ أُمَّةٌ لَا مَوْتَ إِلَّا قَتَلٌ، فَمَا لِي أَرَى الْفُرْشَ قَدْ كَثُرَ عَلَيْهَا الْأَمَوَاتُ.

ديون الزبير

ولعل هذه السمة هي التي تسببت في أن يموت الزبير وعليه ديون كثيرة، رغم أن الزبير كان له عمال كثير يعملون لديه ويؤدون إليه الخراج، ورغم كثرة ماله كان لا يدخل بيته منها شيئاً، يتصدق به كله. وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ يَجِيءُ بِالْمَالِ فَيَسْتَوْدِعُهُ فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لَا وَلَكِنْ هُوَ سَلَفٌ، إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ فَكَانَ يَنْفِقُ لِلرَّجُلِ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ يَعْتَبِرُهُ دِينَ عَلَيْهِ، فَمَاتَ وَعَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَةٌ أَلْفٍ.

وقال لابنه عبد الله قبل موقعة الجمل: يَا بُنَيَّ! إِنِّي لَا أُرَانِي إِلَّا سَاقُتَ الْيَوْمَ مَظْلُومًا وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدِينِي فَبِعْ مَا لَنَا فَاقْضِ دِينِي فَإِنْ عَجِزْتَ، عَن شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِنْ بِمَوْلَائِي قَالَ عبد الله بن الزبير: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا قَصِدَ حَتَّى قُلْتُ يَا أَبَتِ! مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّهُ .

قَالَ عبد الله بن الزبير:

**فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دِينِهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ
اقْضِ عَنْهُ فَيَقْضِيهِ.**

يقول عبد الله بن الزبير: وكان للزبير قطعة أرض تسمى الغابة فَحَسَبْتُ دَيْنَهُ فَوَجَدْتُهُ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ. وَلَقِيَ حَكِيمُ بْنُ حِرَامٍ بَنَ خُوَيْلِدٍ (وهو ابن عم الزبير) عبد الله بن الزبير فقال: يَا بَنَ أَخِي! كَمْ عَلَى أَخِي

مِنَ الدِّينِ؟ فَكَنَّمَهُ وَقَلَّتْ: مَائَةٌ أَلْفٍ فَقَالَ حَكِيمٌ: مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَتَّسِعُ
 لِهَذِهِ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَتْ أَلْفِي وَمَائَتِي أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا
 أَرَاكُمْ تُطَيِّفُونَ هَذَا!!، فَإِنْ عَجَزْتُمْ، عَنْ شَيْءٍ فَاسْتَعِينُوا بِي.

فنادى عبد الله بن الزبير: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا بِالْعَابَةِ
 (وهي بستان كبير كان يملكه الزبير كما ذكرنا) فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ
 وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُ مَائَةِ أَلْفٍ فَقَالَ لابنِ الزُّبَيْرِ: إِنْ شِئْتَ تَرَكْتُهَا
 لَكُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ فَأَخْرُوهَا فِيمَا تَوَخَّرُونَ إِنْ أَخْرَيْتُمْ شَيْئًا قَالَ: لَا قَالَ: فَأَقْطَعُوا
 لِي قِطْعَةً، فَأَقْطَعَهُ جِزْءًا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ أَقْطَعُ مِثْلَهُ بِقِيَّةِ الدَّائِنِينَ.

فباع كل واحد منهم سهمه بعد ذلك في هذه الأرض بأضعاف دينه
 على الزبير.

وظل عبد الله ينادي في موسم الحج أربع سنوات متتاليات: مَنْ كَانَ لَهُ
 عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا. ثم قسم بقية ميراثه بعد ذلك. **أخرجه البخاري.**



استشهاد الزبير

كان الزبير من الصحابة الذين ساءهم قتل أمير المؤمنين عثمان على النحو المعروف، وكان رأيه أنه يجب قتل قتلة عثمان على الفور، وكان من أصحاب هذا الرأي أيضا السيدة عائشة وطلحة.

وكان الإمام علي يرى أنه لا بد من أن تسكن الأوضاع تماما، ويتفرق الغوغاء الذين قتلوا عثمان في بلادهم، وعندها يمكن أخذ القصاص منهم. وكان نتيجة هذا الاختلاف في وجهات النظر أن وقع قتال بين الفريقين في معركة الجمل، على النحو الذي وصفناه بالتفصيل في الكتيب الخاص بالإمام علي.

وكانت السيدة عائشة وعلي وطلحة والزبير ممن حاولوا وقف القتال بكل الصور يومها، لكنهم فشلوا بسبب استماتة قتلة عثمان في إشعال القتال.

فلما يأس الزبير من وقف القتال مضى منصرفا عن الحرب، فتبعه عمرو بن جرموز وكان مع علي في جيشه فوجده نائما بمكان يسمى وادي السباع فغدر به فقتله وهو نائم، وهو يظن بذلك أنه يتقرب إلى الإمام علي.

وجاء هذا القاتل إلى الإمام علي يستأذن في الدخول عليه، فقال علي

ﷺ: "بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ. رواه أحمد

ولما رأى علي سيف الزبير قال:

سَيْفُ طَالِمًا وَاللَّهِ جَلًّا بِهِ صَاحِبُهُ الْكُرْبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ .

ودفن الزبير قريبا من أرض المعركة بوادي السباع، وجلس علي يبكي على قبره. وكان موته سنة 36 هـ وعمره 64 عاما أو 67 عاما.

وكان علي يقول معلقا على الحرب التي دارت بينه وبين طلحة والزبير:

إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله

فيهم :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾

رحم الله

السَّيِّدِ
الْعَوَامِ
رضي الله عنه

أبناء الزبير وقاتل أبيهم

وتدور الأيام.. ويصبح مصعب بن الزبير أميراً على العراق، ويظفر بعمر بن جرموز قاتل أبيه. وقيل بل جاء عمرو بنفسه إليه يقول: أقدني بالزبير (أي اقتص مني)، فسجنه مصعب، ثم كتب يشارور أخاه الأكبر عبد الله بن الزبير وكان بمكة.

فبعث إليه عبد الله بن الزبير يقول:

أَنْ بَسَّ مَا صَنَعْتَ، أَظَنَنْتَ أَنِّي قَاتِلُ أَعْرَابِيٍّ بِالزُّبَيْرِ؟
لَيْسُوا سِوَاءَ، وَلَا بِشِئْخِ نَعْلِهِ... خَلَّ سَبِيلَهُ

أي أن هذا الأعرابي لا يساوي عنده رباط حذاء الزبير، فأطلق مصعب سراحه. وقيل إن عمرو بن جرموز كره الحياة بعد ذلك لما كان يرى من كوابيس في منامه، فانتحر.



كلمة أخيرة (هل انتشر الإسلام بالسيف؟)

كان الجهاد روح الزبير، والشهادة أمله في الحياة، لكن هل القتال في سبيل الله هو الطريقة الإسلامية المعتمدة لنشر الإسلام؟.

إن الإسلام رسالة موجهة للناس كافة، وليس يعيبه أن يطمح إلى هداية البشر جميعاً إلى تعاليمه وشريعته. وليس يعيب المسلم أن يظل شاغله أن تكون كلمة الله هي العليا فكل صاحب مبدأ يسهر على الترويج لعقيده، **ولكن السؤال الصعب هو كيف يمكنه فعل ذلك؟**

من الخطأ الفادح أن تعتقد أن الإسلام يعتمد القتال وسيلة للتبليغ ونشر الإسلام، وآيات القرآن تشدد في النهي عن ذلك وتستكره أشد الاستكثار، بصورة لا تحتمل اللبس، **ونؤكد هنا على عدة حقائق:**

1- القرآن ألزمننا عند دعوة غيرنا بقواعد وآداب معينة منها:

- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴿٥٦﴾﴾
- ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١٢٥﴾﴾

2- الرسول مكلف بالإبلاغ والتبشير فقط، لا أكثر.

- ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾
- ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١٢﴾﴾

3- إذا لم تلق الدعوة استجابة وأصر الآخرون - دون عدوان - على موقفهم، فحسابهم على الله:

- ﴿ فَإِنِ اعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَاحٌ ﴾
- ﴿ فَإِنِ أَسَأَمُوا فَعَدِ اهْتَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ أَلْبَاحٌ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٩٠﴾ ﴾

4- أما الذين يعترضون هذا الطريق السلمي بالعدوان، فإنهم لا يتركون للمسلمين خياراً، إلا الدفاع ورد العدوان دون تجاوز.

- ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾
- ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾

ومجمل هذه الآيات ترسم لنا صورة واضحة المعالم لطبيعة علاقات المجتمع الإسلامي بغيره من المجتمعات في الأرض. ويتفق مع هذا السياق قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ كَيْبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ ﴾. ويتفق مع هذا السياق أيضاً حديث رسول الله ﷺ: « لا تتمنوا لقاء العدو، وإذا لقيتموهم فاصبروا».

فلماذا إذن ذاعت مقولة أن الإسلام قد انتشر بالسيف ؟.

فى ظنى أن انتشار هذه المقولة راجع إلى سببين:

الأول: تلك السرعة الفائقة التي انتشر بها الإسلام، فخلال فترة لا تتعدى ثلاثين سنة كان قد انتشر فى قارات ثلاث. فلم يستطع الغربيون أن يتصوروا إمكان حدوث تلك «المعجزة» إلا بالسيف وحده.

والثانى : أن بعض المؤرخين المسلمين كانت تأخذهم حماسة النصر فيغلفونه بما يحسبونه - طبقا لفهمهم وطبيعتهم الشخصية - تمجيذا لانتصار المسلمين. على سبيل المثال تقول بعض الروايات إن قتيبة بن مسلم أوقع بأهل الطاقان (التركمنستان حاليا) بعد أن غدروا بعهدهم معه، "فقتل منهم مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين بطول أربعة فراسخ، أى صَلَبَ منهم طابورا من البشر طوله 12 كم تقريبا، وهذا شيء لا يصدق أبدا.

وللأسف فإن هؤلاء المؤرخين كانوا يبالغون فى هذه الأرقام بغير حق ، وما كانوا يدرون أنه بعد قرون سيأتي أقوام يتصيدون هذه الأخبار الكاذبة والمبالغ فيها حتى يُسيؤا للإسلام. ومن ثم فبعض مؤرخينا للأسف أمدوهم بمادة خصبة لنفث سمومهم.

وبقية هذا الموضوع فى نهاية كتيب "المتنى بن حارثة"، ونهاية كتيب قتيبة بن مسلم.